

ضوابط دعوة المردان والتعامل معهم

لأبي زايد محمد بن يوسف أهلي

إن ظاهرة دعوة المردان منتشرة في أوساط الدعاة، وقد وقع كثير منهم في أخطاء بعضها كبيرة وبعضها صغيرة يمكن غض الطرف عنها.

وهذه الأخطاء كفيلة بتنفير الشباب عن الدين والالتزام، والسبب الرئيسي في ذلك هو جهل الداعية بقواعد وضوابط دعوة هذه الفئة من المجتمع.

لذلك رأيت من النصح لمن يقوم بدعوة تلك الفئة أن أكتب هذه الأسطر، والتي ذكرت فيها ضوابط في دعوة المردان والتعامل معهم، حتى يكون الداعية على بينة من أمره، ولا يتخبط يمنة ويسرة، ويفسد أكثر مما يصلح كما هو موجود في كثير في ساحة الدعاة للأسف. وقد جمعت هذه المسائل من غير ذكر الأقوال وأصحابها حتى يكون خفيفاً وسلساً وقد جمعتها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، وكلام أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم مع التصرف، وفي نهاية الكتاب ذكرت أسماء المراجع.

فأسأل الله عز وجل أن يصلح قلوبنا وقلوب المسلمين وأن يبصرنا أمر ديننا، وأن يجعل ما نعمله خالصاً لوجهه الكريم.

تعريف الأُمرد:

قال ابن منظور في اللسان (مرد): (والأُمرد: الشاب الذي بلغ خروج لحيته، وطر شاربه، ولم تبد لحيته، ومرد مرداً ومرودة وتمرد بقي زماناً ثم التحى بعد ذلك).

١. حكم النظر إلى الأُمرد؟

قسم العلماء مسألة النظر إلى الأُمرد إلى قسمين، النظر بشهوة والنظر بلا شهوة:

أ. النظر بشهوة:

قال أهل العلم: لا يحلُّ للرجل النظر لأجنبية، ولا لأُمرد على وجه الالتذاذ للإجماع على حرمة النظر بقصد الشهوة لغير الزوجة والأُمة، وقالوا: النظر إلى الأُمرد الحسن الصورة على وجه الالتذاذ كالنظر إلى الشابة.

وإذا كان في ظهور الأُمة، والنظر إليها فتنة وجب المنع من ذلك... وهكذا الرجل مع الرجال، والمرأة مع النساء لو كان في المرأة فتنة للنساء، وفي الرجل فتنة للرجال لكان الأُمرد بالغض للناظر من بصره متوجهاً، كما يتوجه إليه الأُمرد بحفظ فرجه، فالإماء والصبيان إذا كن حسناً تحشى الفتنة بالنظر إليهم كان حكمهم كذلك، كما ذكر ذلك العلماء.

والنظر إلى وجه الأُمرد لشهوة كالنظر إلى وجه ذوات المحارم، والمرأة الأجنبية بالشهوة، سواء كانت الشهوة شهوة الوطء، أو شهوة التلذذ بالنظر، فلو نظر إلى أمه، وأخته، وابنته يتلذذ بالنظر إليها كما يتلذذ بالنظر إلى وجه المرأة الأجنبية كان معلوماً لكل أحد أن هذا حرام، فكذلك النظر إلى وجه الأُمرد باتفاق الأُمة.

ومن كرر النظر إلى الأُمرد، ونحوه أو أدامه، وقال: إني لا أنظر لشهوة كذب في ذلك، فإنه إذا لم يكن معه داع يحتاج معه إلى النظر لم يكن النظر إلا لما يحصل في القلب من اللذة بذلك، وأما نظرة الفجأة فهي عفو إذا صرف بصره..

ورد عن سعيد بن المسيب أنه قال: إذا رأيت الرجل يلح بالنظر إلى الغلام الأُمرد فاتممه.

ومعنى قول العلماء النظر بشهوة: أي التلذذ بالنظر.

وضابط الشهوة المحرمة: أن ينظر إلى الوجه الجميل فيلتذ به، فإذا نظر ليلتذ بذلك الجمال فهو النظر بالشهوة، وهو حرام بإجماع، وليس المراد أن يشتهي زيادة على ذلك من الوقاع، أو مقدماته فإن ذلك ليس بشرط بل زيادة في الفسق، وكثير من الناس لا يقدمون على فاحشة، ويقتصرون على مجرد النظر، والمحبة، ويعتقدون أنهم سالمون من الإثم وليسوا بسالمين.

ب. النظر بلا شهوة:

النظر إلى الأمرد بغير شهوة على قسمين:

أحدهما: أن يأمن ثوران الشهوة:

كنظر الرجل الورع إلى ابنه الحسن، وابنته الحسنة، وأمه الحسنة، فهذا لا يقترن به شهوة إلا أن يكون الرجل من أفجر الناس، ومتى اقترنت به الشهوة حرم، وعلى هذا نظر من لا يميل قلبه إلى المردان كما كان الصحابة وكالأئمة الذين لا يعرفون هذه الفاحشة فإن الواحد من هؤلاء لا يفرق من هذا الوجه بين نظره إلى ابنه وابن جاره وصبي أجنبي لا يخطر بقلبه شيء من الشهوة لأنه لم يعتد ذلك وهو سليم القلب من قبل ذلك..

ثانيهما: أن يخاف من النظر ثوران الشهوة:

اختلف العلماء في هذا القسم إلى عدة أقوال والراجح منها أنه يحرم؛ لأن النظر إلى وجه الأجنبية من غير حاجة لا يجوز، وإن كانت الشهوة منتفية لكن لأنه يخاف ثورانها، ولهذا حرم الخلوة بالأجنبية لأنه مظنة الفتنة، والأصل أن كل ما كان سبباً للفتنة فإنه لا يجوز. فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة، ولهذا كان النظر الذي قد يفضي إلى الفتنة محرماً إلا إذا كان لحاجة راجحة مثل نظر الخاطب، والطبيب، وغيرهما فإنه يباح النظر للحاجة مع عدم الشهوة، وأما النظر لغير حاجة إلى محل الفتنة فلا يجوز..

ونقول وبالله التوفيق: إن المسألة تحتاج إلى زيادة تفصيل وهي عائدة إلى الداعية، فالداعية لو كان يعرف من نفسه يقيناً أنه لا يميل إلى المردان أبداً فالنظر إليه مباح وربما يكون مكروهاً لأنه قد يؤدي إلى فتنة.

وإن كان الداعية لا يأمن من نفسه الفتنة فالنظر إليه محرم.
ولكننا نقول بأن الذمم قد فسدت في هذا الزمن، فلا بد أن نشدد في هذه المسألة حتى لا تقع
أمر لا تحمد عقباه.

٢. مفسد النظر إلى المردان:

أ. عموم فتنته للجنسين:

قال ابن عقيل : الأمرد يفتن الرجال والنساء فهو شبكة الشيطان في حق النوعين، ويجب كل
منهم وصاله في الحرام عياداً بالله.

ب. تهيج شهوة الناظر:

إن الناظر إلى الأمرد الجميل، مهما كان تقياً فهو عرضة مع إمعان النظر، وحدّ البصر إلى
الافتتان به عياداً بالله.

ج. افتتان الأمرد نفسه:

لا ريب أن شعور الأمرد باهتمام الناظرين إليه، وإدامتهم تأمل محاسنه لن يخلو من مفسدة بل
مفسد منها:

١. شعوره بأنه محط الأنظار، ومهوى الأفئدة فإن كان ضعيف الإيمان، هزيل التربية دفعه
ذلك إلى صنع علاقات مريبة مع الذكور عياداً بالله. أو شجعه جماله وحسنه على تصيد
النساء بعد أن امتلأ ثقة بجاذبيته.

٢. وأما إن كان تقياً ورعاً لا تعجبه تلك النظرات المريبة والتأملات المشبوهة فإنه قد يصاب
بإحباط وآلام نفسية حين يشعر بأنه مثير للغريزة، ومؤجج لشهوات الرجال كالنساء.
ولربما وسوس له الشيطان هو الآخر فوقع في غرام النساء بعد أن أوحى إليه كثرة النظرات
أهليته لإشباع الغريزة بالحرام عياداً بالله.

وفي قصة يوسف عليه السلام أعظم عبرة في خطورة كيد النساء وتربصهن بالمرد الحسان إلا
ما رحم الله.

٣. حكم الخلوة بالأمرد؟

ذكروا بأن الخلوة بالأمرد لا تجوز لأن الأمرد الحسن يتزل منزلة المرأة الأجنبية بل هو أشد لأن المرأة الأجنبية أقصى ما يستطيع المرء الذي يراعي الناس أن يفعله هو النظر إليها، بخلاف الأمرد فهو يستطيع أن يخلو به ويجالسه ويتأمل فيه ويفعل ما يشاء ولا أحد يستطيع العتب عليه، لأنه إذا قيل له شيء قال: هذا رجل وهذا شاب وأنا لا أجالس النساء ولا أخلو بالنساء والآيات والأحاديث وردت في النهي عن الخلوة بالنساء. ولكننا نقول إن الحكم يدور مع علته حيث دار وجوداً وعدمًا وهنا العلة موجودة وهي الفتنة كما هي موجودة في النساء، بل هنا أشد إذ إن الرجل يستطيع أن يفعل أي شيء بخلوته مع الأمرد ولا عتب عليه من أحد.

وهنا أنقل فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية لأهميتها ووضوحها:

سئل شيخ الإسلام رحمه الله بمجموع الفتاوى:

عن أقوام يعاشرون المردان، وقد يقع من أحدهم قبله، ومضاجعة للصبي، ويدعون أنهم يصحبون الله، ولا يعدون ذلك ذنباً، ولا عاراً، ويقولون نحن نصحبهم بغير خنا، ويعلم أبو الصبي بذلك، وعمه، وأخوه فلا ينكرون! فما حكم الله تعالى في هؤلاء؟

وماذا ينبغي للمراء المسلم أن يعاملهم به والحالة هذه؟

فأجاب: الحمد لله، الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز تقبيله على وجه اللذة بل لا يقبله إلا من يؤمن عليه كالأب، والأخوة، ولا يجوز النظر إليه على هذا الوجه باتفاق الناس بل يحرم عند جمهورهم النظر إليه عند خوف ذلك، وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة مثل معاملته والشهادة عليه، ونحو ذلك كما ينظر إلى المرأة للحاجة، وأما مضاجعته فهذا أفحش من أن يسأل عنه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع".

إذا بلغوا عشر سنين ولم يحتلموا بعد فكيف بما هو فوق ذلك؟

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: "لا يخلو رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان".

وقال: "إياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول الله أفرايت الحمى قال الحمى الموت". فإذا كانت الخلوة محرمة لما يخاف منها فكيف بالمضاجعة؟.

وأما قول القائل: إنه يفعل ذلك لله فهذا أكثره كذب، وقد يكون لله مع هوى النفس كما يدعي من يدعي مثل ذلك في صحبة النساء الأجانب فيبقى كما قال تعالى في الخمر (فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) وقد روي عن المشايخ من التحذير عن صحبة الأحداث ما يطول وصفه، وليس لأحد من الناس أن يفعل ما يفضي إلى هذه المفاسد المحرمة وإن ضم إلى ذلك مصلحة من تعليم أو تأديب فإن المردان يمكن تعليمهم وتأديبهم بدون هذه المفاسد التي فيها مضرة عليهم وعلى من يصحبهم، وعلى المسلمين بسوء الظن تارة وبالشبهة أخرى بل روي: "أن رجلاً كان يجلس إليه المردان فنهى عمر رضي الله عنه عن مجالسته"...

...فلو ذكرنا ما حصل في مثل هذا من الضرر، والمفاسد وما ذكره العلماء لطلال سواء كان الرجل تقياً، أو فاجراً فإن التقى يعالج مرارة في مجاهدة هواه وخلاف نفسه، وكثيراً إما يغلبه شيطانه ونفسه، بمتزلة من يحمل حملاً لا يطيقه فيعذبه أو يقتله، والفاجر يكمل فجوره بذلك، والله أعلم.

٤. حكم دعوة الأُمرد؟

الدعوة واجبة على جميع من يستطيع أن يدعو، وهي لا تقتصر على أحد، فالرجل يدعو الرجل، والمرأة تدعو المرأة، والرجل يدعو المرأة بضوابط، والرجل يدعو الأُمرد بضوابط.

٥. ضوابط دعوة الأمرد؟

١. أن يكون الداعية متزوجاً، فيكون محصناً ولا يكون له ميل إلى الصبيان في الغالب.
٢. أن يكون ممن ظاهره الصلاح ويغلب على المرء أن هذا الشخص رجل صالح يصلح لدعوة المردان.
٣. أن لا يكون في جاهليته قد اقترف شيئاً من هذه القاذورات.
٤. أن يكون عنده علم في أساسيات الدعوة إلى الله.
٥. أن يكون عنده علم في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصغار والتعامل معهم.
٦. أن يكون عنده فراسة في التعرف على شخصية الشباب.
٧. أن لا يخلو مع أمرد أبداً، وإنما يكون معهم قرين للداعية ويفضل أن يكونوا ثلاثة دعاة فأكثر، وأن يكون المدعوون كذلك أكثر من واحد، حتى لا ينفرد به.
٨. أن يتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.
٩. أن يربي الأمرد على التعلق بالله وحده وعدم الالتفات إلى المخلوقين.
١٠. إذا وجد الداعية في قلبه الميل إلى هذا الأمرد والاستئناس به كثيراً يحاول أن يبحث عن من يكون بديلاً عنه - يظن أن فيه صلاحاً - وينسحب شيئاً فشيئاً بدون أن يحس بهذا الأمرد.
١١. الالتجاء إلى الله عز وجل واستمرار الدعاء في عدم تعلق القلب إلا به سبحانه.
١٢. التزود بالزاد العظيم كل ليلة وهو قيام الليل مع المجاهدة في الخشوع والتدبر في القراءة فيها.
١٣. لا يمس الأمرد إلا عند المصافحة مع أن المسألة فيها خلاف في حكم مصافحة الأمرد.
١٤. يغض بصره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لا سيما من يشعر في نفسه أنه يميل إليهم.
١٥. إذا وجد من الأمرد النبل والفهم والذكاء ومحبة العلم الشرعي يوجهه لحفظ كتاب الله ويربطه مع شيخ صالح متقن حتى يربيه ويحفظ القرآن عنده ثم يدرس العلوم الشرعية على يديه، وهذه الطريقة يتخلص الداعية - إن صح التعبير - من هذا العبء ويحملة ذاك الشيخ إن كان هو يتكفل بتربية وتعليم هذا الأمرد.

المراجع والمصادر:

- الإنصاف للمرداوي الحنبلي (٣٠/٨)، (٢٨/٨)، (٥٨/٢٠).
- الفواكه الدواني لابن غنيم المالكي.
- الفروع (١١١/٥).
- المبدع (١٢/٧).
- الإقناع (٣٠٠/٣).
- المغني لابن قدامة (٨٠/٧).
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٥١/٢١)، (٢٤٧/٢)، (٣٧٤/١٥)، (٢٤٥/٢١)، (٤١٥/١٥ - ٤١٩)، (٢٤٧/٣٢).
- اختيارات ابن تيمية (٢٩٠)، (٢٩١).
- مغني المحتاج (١٣١/٣).
- كتاب أحكام الأمرد من كلام ابن تيمية أحمد للشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس.